# شاعر معاوية

## كعب بن جُعَيْل التغلبي

## - ٢ -

ومن شعره في معاوية هذه الأبيات التي رواها ابن عساكر[١] وهي تشعر بمبلغ دالته على معاوية ، ويظهر انها مع الأبيات التي تقدمت من قصيدة واحدة :

وابيض جني[٢] عليه ( سموطه )[٣] من الانس في قصر منيف غواربه
تدليته سقط الندى بعد هجعة فبت أُمنّيه المنى وأُخالبه
بما ينزل ( الأروى من الشعف العلى وما لو يسني حية ) لان جانبه[٤]
ندمت على شتم العشيرة بعد ما مضى واستتبت للرواة مذاهبه
فأصبحت لا أستطيع رداً لما مضى كما لا يرد الدر في الضرع حالبه

---

(١) مخطوطة ابن عساكر ج ٧ ورقة ٥٣٢ (٢) يريد بالجني هنا المرأة الساجرة بحسنها على عادة العرب في نسبة كل شيء بارع الى الجن . قال ابودهبل الجمحي ويروى لمحمد بن بشير الخارجي :

وانما دلها سحر تصيد به وانما قلبها للهتكي حجر
جنية أولها جن يعلمها رمي القلوب بقوس ما لها وتر

قال ابوزكريا التبريزي : يعني ان فعلها مباين لفعل الانس وكذلك شكلها وحسنها [ شرح الحماسة للتبريزي ٣/١٦٦ ] . ومثله قول المقنع الكندي رواه الجاحظ في كتاب الحيوان ٦/٥٧

وفي الظعائن والاحداج أملح من حلّ العراق وحلّ الشام واليمنا
جنية من نساء الانس أحسن من شمس النهار وبدر الليل قد قرنا

وقال ابو العلاء المعري :

وقد كان أرباب الفصاحة كلها رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن

(٣) في الأصل :[شموطه] وهو تصحيف سموط وهي القلائد .

(٤) الأروي جمع أروية وهي تقع على الذكر والأنثى من الوعل . والشعف : جمع شعفة وهي رأس الجبل . والعلى : جمع علياء . ويسني : اي يستخرج الحيات فيرقيها ويرفق بها حتى تخرج اليه قال العجاج :

بمنطق لو أنني أسني حيات هضب جئن أو لواني
أرقي به الأروى دنون مني « لسان العرب »

وقد كان البيت محرفاً تحريفاً لا يستقيم معه له معنى فقد ورد في الأصل هكذا :

بما ينزل الاورى من الشغف الطلى وما يوسى حبه لان جانبه



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معاوي أنصف تغلب ابنة وائل من الناس أودعها وحيًّا تضاربه
قليل على باب الأمير لبائتي اذا رابني باب الأمير وحاجبه
ولما تداروا في تراث محمد سمت بابن هند في قريش مضاربه

قال ابن عساكر ويقول فيها :

قليتك فاهجرني [١] فلا ود بيننا كذلك من يستغن يستغن صاحبه

ويروي ابوزيد البلخي في (كتاب البدء والتاريخ ٥/٢٣٥) بيتاً مما قاله كعب ابن جعيل في تأهب الحسن بن علي ومعاوية للقتال بعد مقتل علي رضي الله عنهم :

من جسر منبج أضحى غب عاشرة في نخل مسكن تتلى حوله السورُ

وقد طلب يزيد بن معاوية اليه ان يهجو الأنصار انتقاماً من عبد الرحمن بن حسان الذي شبب بأخته رملة ، فأبى كعب تحرجاً وتأثماً وقال له : (أرادي أنت في الشرك بعد الايمان؟ أأهجو قوماً نصروا رسول الله ﷺ وآووه ؟ ولكني أدلك على غلام منا نصراني لايبالي ان يهجوهم كأن لسانه لسان ثور . قال من هو ؟ قال الاخطل) [٢] .

واتصل ابن جعيل في دمشق بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، كان مداحاً له نوّه بذكره وشاد بمآثر والده العظيم وبلائه الحسن في الفتوح ، ولما مات عبد الرحمن بحمص سنة ست وأربعين حزن عليه ورثاه . فمن شعره فيه قوله يمدحه [٣] .

أبوك الذي قاد الجيوش (مغرباً [٤]) الى الروم لما (اعطت الخرج) [٤] فارسُ
وكم من فتى نبهته بعد هجعة بقرع اللجام وهو (أليغُ) [٥] ناعس
وما يستوي الصفان صف لخالد وصف عليه من دمشق البرانس [٦]
ولم يبق تحت الحزم الا أجنة ولا من هواديهن الا الكرادس

وله فيه أيضاً : [٧]

(١) في الأصل [فاهجري] .
(٢) نقائض جرير والاخطل لابي تمام ص ١٥١ والكامل للمبرد ص ١٠١ والعقد لابن عبد ربه ٦ — ١٦٩ والأغاني ١٧ ١٦٧ على اختلاف في بعض الالفاظ ففي الكامل [ارادي انت الى الكفر بعد الاسلام ...]
(٣) ابن عساكر ترجمة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ج ٥ ورقة ٢٩٣ [مخطوط]
(٤) في الأصل : (معرفا) و (اعطب الحرج) (٥) الأليغ : من لا يبين كلامه . وفي الأصل : «الثغ»
(٦) البرنس هو قلنسوة طويلة وكل ثوب رأسه ملتزق به ، ويريد بالصف الذي عليه البرانس جيش الروم .
(٧) ابن عساكر ترجمة عبد الرحمن بن خالد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اني ورب النصارى في كنائسها والمسلمين اذا ماجمّعوا الجمعا
والقائم الليل بالانجيل يدرسه لله تسفح عيناه اذا ركعا
ومهراق دماء البُدن عند مِنى لأشكرنْ لابن سيف الله ماصنعا
لما تهبطت من غبراء مظلمة سهلت منها بإذن الله مطّعا
فقد نزلت اليه مفرداً وَحداً (كفرضة) النيل (تروي العدوتين) معا [1]
افضلت فضلا عظيما لست ناسيه كان له كل فضل بعده تبعا
فرع اجاد هشام والوليد به بمثل ذلك ضرَّ اللهُ او نفعا
من (مستنيري) قريش عند نسبتها (كالهبرزي اذا وازنته متعا) [2]
جفانه كحياض البئر مترعة اذا رآها اليماني رق واختضعا
لأجزينكم سعياً بسعيكم (وهل) بكأس ساع فوق ما (وسعا) [3]

وقال يمدحه: [4]

انني والذي (اجار) [5] بفضل يوسف (الحب [5]) من بني يعقوب
والمصلين يوم خضب الهدايا بدم من نحورهن صبيب
لأصيبن كاشحيك من النا س (بوصم) على الانوف (علوب) [6]
وأجدن كل يوم ثناء (يونق) [7] الاذن من محل نسيب
كيف أنسى ايام جئتك فرداً مضمراً بشر (راغب مرغوب) [8]
اخرق الجند والمدائن حتى صرت في منزل القريب الحبيب
عبد عبد الرحمن ذي الحسب العـ ـدِ ومأوى الضريك و (المحروب) [9]

وقال معاوية يوماً لكعب بن جعيل بعد موت عبد الرحمن: ليس لشاعر عهد

(١) في الأصل: [كمرض الليل يرويني الصداة معا] وهو تحريف منكر
(٢) الهبرزي: الدينار الجديد والذهب الخالص. وازنه: عادله وقابله. متع: جاد ورجح. وفي الأصل: (من مستبري .... كالهرمزي اذا واريته منعا)
(٣) في الاصل: [زهر ايكاف ساع فوق ماوضعا]
(٤) مخطوطة ابن عساكر ترجمة عبد الرحمن بن خالد
(٥) في الأصل: [احار] و [الجب]
(٦) في الأصل: (بوسيم) و (غلوب).
(٧) في الاصل: (بوبق)
(٨) في الاصل: (راهب مرهوب)
(٩) في الأصل: (والمحروب).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قد كان عبدالرحمن لك صديقاً ، فلما مات نسيته . فقال مافعلت ولقد قلت فيه بعد موته[١]:

ألا تبكي وما ظلمت قريش بإعوال البكاء على فتاها
ولو سئلت دمشق وبعلبك وحمص من أباح لكم حماها
فسيف الله أوردها المنايا وهدم حصنها وحوى قراها
وأنزلها معاوية بن حرب وكانت أرضه أرضاً سواها

ثم اذا كانت سنة خمسين نراه هو والحطيئة في مجلس صاحبه القديم سعيد بن العاص والي المدينة حينئذ ، ويدخل الفرزدق عائداً بسعيد من زياد ابن أبيه ، فاذا أنشد الفرزدق قصيدته التي يمدح بها سعيداً قال كعب بن جعيل : هذه والله الرؤيا التي رأيتها البارحة ، قال سعيد وما رأيت ؟ قال رأيت كأني في سكك المدينة فاذا انا بابن قترة[٢] أراد ان يتناولني فاتقيته . فيقول الحطيئة للفرزدق : أدركت من مضى ولا يدركك من بقي . فيقول كعب للحطيئة : فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك . فيقول الحطيئة : والله أفضله على نفسي وغيري[٣]

وكما رأينا كعب بن جعيل في الشام والحجاز نراه في العراق يقوم بالمربد في البصرة يقضي بين الشعراء ويفضل بعضهم على بعض . ورد في الأغاني ٤/١٣١ ان النابغة الجعدي واوس بن مغراء اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجّاج والأخطل و كعب بن جعيل .. وقال كعب في ذلك :

اني لقاض قضاء سوف يتبعه من أمّ قصداً ولم يعدل الى أودِ
فصلا من القول تأتم القضاة به ولا أجور ولا أبغي على أحد
(نالت) بنو عامر (جعداً[٤]) وشاعرها كما (تنيل) بنو عبس بني أسد

وقد ذكر عن النابغة انه هاجي كعب بن جعيل فغلبه كعب . كما ان ابا جهمة الأسدي كان قد خص بني تغلب جميعاً بالهجاء فقال كعب بن جعيل[٥] :

(١) ابن عساكر ترجمة كعب بن جعيل ج ٧ ورقة ٥٣٢ وترجمة عبد الرحمن بن خالد ج ٥ ورقة ٢٩٣ — ٢ [ وكلاهما مخطوط ] والاصابه لابن حجر ٥ — ٦٨
(٢) ابن قترة : حية خبيثة .
(٣) الاغاني ١٩ — ٢١ و ٢١ — ١٢٧
(٤) في الأصل «سعدا» وسياق الكلام يقتضي ان يكون جعداً لان المقصود بالهجاء النابغة الجعدي .
(٥) ابن عساكر ج ٧ ورقة ٥٣٢ مخطوط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بنا كثرت بنو أسد فيخشى لكثرتها و (ما[١]) عز القليل
قبيلة تردد في (معد)[٢] خدودهم أذل من السبيل
تمنى ان تكون اخا قريش (شحيج البغل)[٣] يأذن للصهيل[٤]

وقال كعب أيضاً:[٥]

اذا احمرّ بأس الناس ألفيت شرهم بني اسد اني بما قلت عارفُ
اغاروا علينا يسرقون رحالنا وليس لنا في مرج صفين قائف

وتنقطع اخبار كعب بعد وفاة معاوية سنة ستين مع عظم الأحداث التي جرت بعده ، فلا نسمع صوته ايام يزيد ، ولا أيام مروان بن الحكم في وقعة مرج راهط سنة اربع وستين حيث ابلت بنو تغلب مع مروان بلاء حسناً . فاذا بويع عبد الملك بن مروان وقضى على مصعب بن الزبير سنة احدى وسبعين سمعنا كعب بن جعيل يقول فيه :[٦]

أمير المؤمنين هدى ونور كما جلى دجى الظلم النهارُ
قريع بني أمية من قريش هم السر المهذب والنضار

ويروي ابن عساكر خبراً لكعب مع خليفة من بني أمية لم يسمّه وخلاصة الخبر : ان بعض خلفاء بني أمية سأل شاعراً من تغلب اسمه قرثع التغلبي عن شرف تغلب وعددها فيمن هما ؟ فقال في بني اوس بن تغلب — لانه منهم — فيقول له الخليفة أتقول هذا وكعب بن جعيل حاضر ؟ فيقول نعم . فاذا جاء كعب أعاد الخليفة سؤاله فأعاد قرثع جوابه ؛ فيغضب كعب — لانه من بني غنم بن تغلب — وينال من بني الأوس بن تغلب وتقع بين الشاعرين مشارّة فيقول كعب[٧] :

لعمرك ما السفاح مثل ابن خالد وما انت من ابناء عمرو بن حيحلِ[٨]
ومالك في عمرو وعمران مسكة ولا في الكناني الأغر المحجّل
ومالك في آل الهذيل دعامة ولا في بني (حوط الحظائر)[٩] فارحل

(١) في الاصل: ولا (٢) في الاصل: معهد (٣) في الاصل: شحيح البعل
(٤) وردت هذه الأبيات في ديوان حسان بن ثابت منسوبة اليه بتغيير قليل ص ٩٠ .
(٥) ابن عساكر ج ٧ ورقة ٥٣٢ مخطوط (٦) انساب الاشراف للبلاذري ج ١١ ص ٢١٢
(٧) مخطوطة ابن عساكر ، ترجمة قرثع التغلبي ، ج ١٦ ورقة ٢٠٧ — ٢
(٨) كذا بالاصل: ولعله حيهل (٩) في الأصل: خوط الحصائر والصحيح من كتاب الاشتقاق لابن دريد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما الاوس الاجعر خار بقرقر من الأرض يجبي جمعوه غير معجل

ويقول ابن عساكر ان كعباً بقي حتى وفد على الوليد بن عبد الملك ومدحه ، والوليد بويع سنة ست وثمانين وتوفي سنة ست وتسعين . فكعب على ذلك من المعمرين وكان له أخ شاعر أيضاً اسمه عمير[1] ولكنه لم ينل من الشهرة ما ناله كعب .

خصائص شعره : ان ما بقي من شعر كعب بن جعيل طائفة يسيرة ولكنها تحمل خصائص تستحق التدبر كأثر الموطن والمجتمع والزمان ؛ فقصيدته التي يعتذر بها الى الضحاك بن قيس تدل دلالة واضحة على ان الشاعر من الجزيرة الفراتية بعد ان ذكر فيها اضطرابه بين نصيبين ودارا والرقة . وذلك أثر من آثار الموطن واضح غير عميق يتأثر به الشاعر وغير الشاعر . ولكن الأثر البليغ هو الذي يلوّن شعر الشاعر بطبيعة الموطن ويلهمه انتزاع تشبيهاته واستعاراته مما تقع عليه عينه . فهل من ذلك شيء في شعر كعب ؟

درج شعراء العرب على تشبيه الفتاة الحسناء بالغصن لاعتدال قامتها ونعومتها وتأودها ، وكثيراً ما يجعلون ذلك الغصن من البان ونابتاً في كثيب من الرمل ، ويكنون بكثيب الرمل عن عظم الأرداف وارتجاجها ، والشواهد على ذلك كثيرة جداً . وهذا غير مستغرب من شاعر ينشأ في بوادي الحجاز او نجد . اما كعب الناشئ في الجزيرة ذات الانهار والغدران والظل والشجر ، فقد شبه الفتاة الناعمة الممشوقة القوام بـ « صعدة نابتة في حائر » من الماء ، فعدل عن غصن البان على كثيب الرمل الى «الصعدة» وهي القناة النابتة في «حائر» والحائر المكان المطمئن يجتمع فيه الماء فيتحير ولا يخرج منه فقال :[2]

وضجيع قد تعللت به طيب أردانه غير تفل
في مكان ليس فيه برم وفراش متعالٍ متمهل
فاذا قامت الى جاراتها لاحت الساق بخلخال زجل
وبمتنين اذا ما ادبرت كالعنانين ومرتج رهل
« صعدة نابتة في حائر » اينما الريح تميلها تمل

(١) عمير بن جعيل ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٦٥
(٢) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٨٦ وخزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٤٥٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا يأتي بمثل هذا التشبيه الا من أقام بموطن مثل الجزيرة .

وكذلك نلفي في شعر كعب « القصور المنيفة الغوارب » و «البروح ذات الشماريخ » وذلك لكثرة ما وقع نظره عليه من قصور الروم وحصونهم وبروجهم وأسوارهم ، وما أقاموه في الجزيرة وعلى حدودها من المصانع والقلاع ، وفيما سبق إيراده من شعره شواهد على ذلك .

وللمجتمع في شعره أثر ليس بدون أثر المكان ، فهو تغلبي متعصب لقبيلته شأن جميع شعراء العرب ، ويزيد على ذلك ان موقفه من قبيلته موقف يرينا الروح العربية تسع دينين في وقت واحد ، فهو وان كان مسلماً ، ينطق بلسان تغلب مسلمها ونصرانيها ، لان تغلب وقتئذ لم تدخل كلها في الاسلام ، ويحلف بالكنائس كما يقسم بالجوامع ، ويكرم دارس الانجيل كما يعظم قارئ القرآن :

اني ورب النصارى في كنائسها والمسلمين اذا ما جمّعوا الجمعا
والقائم الليل بالانجيل يدرسه لله تسفح عيناه اذا ركعا
ومهراق دماء البدن عند منى لاشكرنّ لابن سيف الله ماصنعا

ومثل هذا الروح السمح يستدعي الاعجاب ، والغريب أن اثر النصرانية في شعر كعب التغلبي المسلم اكثر ظهوراً منه في شعر الأخطل التغلبي النصراني .

كان كعب في زمن جرت فيه عظام الحوادث سراعاً ، فقد أدرك الفتوح الاسلامية التي غيرت مجرى التاريخ وانتصار العرب على الفرس والروم ، وأدرك الفتن الداخلية كمقتل عثمان وما تلاه من الأحداث كوقعة الجمل ووقعة صفين التي شهدها كعب مع معاوية . وهو من الشعراء الذين ساهموا في الأمور العامة ، واندفعوا في معالجة الشؤون السياسية ، فكان شاعر أهل الشام ولسانهم . فظهر على شعره خيلاء الفاتحين وكيد الساسة ومكر الدعاة . فاذا مدح عبد الرحمن بن خالد بن الوليد او رثاه نوّه بتغلغله في بلاد الروم وببطولة ابيه وظهوره على الفرس في العراق والروم في الشام . وما قاله في صفين من الشعر فيه دهاء وحسن تصرف ، فقد تفجع على عثمان ودعا الى المطالبة بدمه ، وجعل الشبه في دمه تحوم حول علي وأصحابه . قال ابن ابي الحديد في الموازنة بين قصيدة كعب وقصيدة النجاشي في خلاف علي ومعاوية وقد تقدم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نقلها : « وأبيات كعب بن جعيل خير من هذه الأبيات – أبيات النجاشي – واخبث مقصداً وأدهى واحسن »[١] وقال في مكان آخر بعد ما نقل قصيدة كعب : « وهذا شعر خبيث منكر ومقصد عميق[١] »

واذا أضيف الى ذلك ما يدور في شعره من الألفاظ الاسلامية كالنبي والحج وبيت الله والهدي والمصاحف والجمع والسور والركوع والسجود « وخلع الأنداد والصلب » وما الى ذلك وجدناه من اكثر الشعراء الاسلاميين تأثراً بالاسلام وحوادثه . وفي استنكافه عن هجاء الأنصار تحرجاً وتأثماً وقوله ليزيد بن معاوية الذي طلب اليه ذلك «ارادتي انت في الشرك بعدالايمان ؟ أاهجو قوماً نصروا رسول الله ؟[٢]» دليل على مبلغ أثر الاسلام في نفسه .

أما أسلوبه فأسلوب أهل الصدر الأول جزالةً وسلامةً وعدمَ تعمل ، والحس والعاطفة في الافصاح عن المعاني اظهر من الخيال ، كقوله وهو مما تغنى به المغنون في القرن الأول :[٣] ولعل هذه الأبيات من غزل القصيدة التي يمدح بها سعيد بن العاص انظر مجلة المجمع ( م ١٩ ص ١٨ )

اذا امتشطت عالوا لها بوسادة ومدت عسيب المتن ان يتعفرا
ثوت نصف شهر تحسب الشهر ليلة تناغي غزالا ساجي الطرف احورا
تزين حتى تسلب المرء عقله وحتى يحار الطرف فيها ويسكرا

وقوله يمدح :[٤]

لا ينكتون الارض عند سؤالهم لتطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لهم عند السؤال كأحسن الألوان

وقوله يهجو :[٥]

اذا راح في قوهية متأزراً فقل جرذ يستن في لبن محض

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٨ و ص ٢٥٢ (٢) تقدمت الاشارة الى مصادر هذا النص (٣) الأغاني ج ٣ ص ٨٣ (٤) شرح مقامات الحريري للشريشي ج ٢ ص ٨١
(٥) ديوان المعاني ج ١ ص ٢١١ وعيون الأخبار ج ٤ ص ٥٥ وأمالي القالي ج ١ ص ٢٧٨ وشرح الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١٨٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتحسبه ان قام للمشي قاعداً لقلة مقياسيه في الطول والعرض
فأقسمت لو خرت من استك بيضة لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
فيا خلقة الشيطان أقصر فانما رأيتك أهلا للعداوة والبغض

وقوله [1] :

وغزانا تبع في حمير نزل الحيرة من أهل عدن

وقوله في الرثاء :

برابية الثرثار [2] قبر ترابه يضم الغمام الجَوْد والشمس والبدرا
رأت تغلب الغلباء عند مصابه عيون الأعادي نحو أعينها خزرا
وودت نجوم الجو يوم حملته على النعش لو كانت بأجمعها قبرا
منافسةً منها عليه وضنةً على الترب أن يمحو المآثر والفخرا
وما بخلت عيناي بالدمع بعده على هالك الا ذكرت لها عمرا

في البيتين الثالث والرابع معنى مبتكر بديع لم أره لغير هذا الشاعر من شعراء العرب، والبيت الأخير من عيون الشعر وحر القريض، أخذه ابو محلّم الشيباني فقال وأحسن:

ما غاض دمعي عند نازلة الا جعلتك للبكا سببا
فاذا ذكرتك سامحتك به مني الجفون ففاض وانسكبا

خليل مردم بك

(١) الطبري ( ٢ — ٢٨ ) وفي معجم البلدان في مادة ( الحيرة )

وغزانا تبع من حمير نازل الحيرة من أرض عدن

(٢) الثرثار واد عظيم بالجزيرة يمدّ إذا كثرت الأمطار ، وهو في البرية بين سنجار وتكريت ، اختص بأكثره بنو تغلب ، وتنصب اليه مياه من نهر الهرماس ، وكان للعرب بنواحيه وقائع مشهورة ولهم في ذكره أشعار كثيرة ( معجم البلدان )

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net